الاستفهام وأنواعه في القرآن الكريم
دراسة تطبيقية على تفسير
أبي السعود من خلال سورة البقرة

دكتور/ محمد فلاح مندكار
قسم التفسير والحديث- كلية الشريعة – جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة ...

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد ...

إن من أسرار القرآن وروعة بيانه أنك كلما نهلت من فيضه ومعينه الصافي ازددت به تعلقاً وتشبثاً ، فهو مصباح الظلام ، ومنهل البيان الذي وقف فحول العرب وفصحاؤهم أمامه عاجزين مشدوهين ، وهم الذين طالما خاضوا معارك البلاغة والبيان وتباروا في فنون القول وأسراره حتى أسروا القلوب والأذهان بحر بيانهم وتبيينهم ، وقد جاء أسلوب القرآن الكريم في الغاية العظمى من البلاغة والفصاحة وخرج عن جميع وجوه النظم المتعارف عليها في كلام العرب فتوافر العلماء على البحث في أسراره واستخراج دُرره فمنهم من وقف على تفسيره ، ومنهم من وقف على إعرابه ، ومنهم من اهتم بمعجزاته اللغوية والبلاغية التي زينت القرآن الكريم حتى قيل : " إن تحت كل حرف من حروف القرآن الكريم علماً لا يعلمه إلا الله " . [1]

وكان أسلوب الاستفهام من بين هذه المعجزات اللغوية التي تميز بها كتاب الله ، فلقد بلغ القرآن الكريم الذروة في هذا الفن كما في غيره من الفنون ، لذا رأيت أن أتناول هذا الموضوع بالبحث من خلال تفسير من أجل تفاسير الذكر الحكيم وأكثرها عناية بالتوجيه البلاغي لفن الاستفهام وغيره من فنون الذكر ، مطبقاً على أمثلة بارزة من

([1]) ينظر : الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي – تحقيق : فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي – بيروت – ٢٠٠٧م ، (٩٠/١) .

هذا الكتاب وذلك من خلال سورة البقرة كونها أطول سور القرآن ، إضافة إلى أنه يمكن أن يقاس على الأمثلة المذكورة كثير من غيرها مما جاء في تفسير العلامة أبي السعود ، ولأن إحصاء الأمثلة من جميع التفسير شيء عزيز فيما أحسب وأظن ، لذا رأيت الاقتصار على تلك السورة الجليلة بأمثلة تطبيقية تحتاج إلى تعليق وبيان مراد الشيخ ، أما ما لا يحتاج إلى كلام فقط أضربت عن ذكره لوضوحه وبيانه.

سبب اختيار البحث :

- أهمية القرآن الكريم في الدراسات اللغوية والبلاغية ، فهو الأصل الأول من أصول العربية لما فيه من جلال المعاني وجمال المباني .
- الوقوف على أنواع الاستفهام ومعرفة لطائفه باب كثير الفوائد والفرائد .
- تشعب الأنواع في هذا الباب وبلوغ العلامة أبي السعود في بيانها الذروة يقتضي الوقوف على فوائد هذا الفن من خلال هذا السفر الجليل .
- ومع أنه قد تقدمت دراسات عديدة في الاستفهام وأنواعه وأدواته إلا أن أحداً فيما أعلم لم يطبق ذلك على تفسير معين ، ولما كان العلامة أبو السعود وسفره من أجل كتب التفسير عناية بالبلاغة وكان للاستفهام حظ عظيم من هذا الفن في علم المعاني ، فإني اخترت هذا الموضوع كي أقف على هذا الفن مما سطره العلامة في تفسيره قاصداً الثمرات العديدة والفوائد الجليلة الحاصلة من وراءه .

خطة البحث :

أما الخطة التي وضعتها فهي على النحو التالي :

- **مقدمة وتمهيد وفصلان وخاتمة وفهرس .**

المقدمة : وتشمل الثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم ، وأسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث .

وأما التمهيد : فيشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالمصطلح الذي جاء عليه عنوان البحث ويتضمن :

أولاً : تعريف الاستفهام ، وهل يصلح أن تراد حقيقته مما جاء منه في القرآن أو لا ؟

ثانياً : هل كل ما ذكره البلاغيون وغيرهم من أنواع الاستفهام قد جاء في القرآن ؟

أو بعض تلك الأنواع فقط ؟

المبحث الثاني : أنواع الاستفهام .

المبحث الثالث : منهجي في البحث .

الفصل الأول : ترجمة من عرضنا الاستفهام من خلال تفسيره (العلامة أبي السعود) ويشتمل على المباحث الآتية :

- **المبحث الأول : اسمه وكنيته ونسبه .**
- **المبحث الثاني : مولده ونشأته وصفاته .**
- **المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .**
- **المبحث الرابع : علمه وآثاره العلمية وثناء العلماء عليه .**
- **المبحث الخامس : وفاته .**
- **المبحث السادس : تأليف أبي السعود لتفسيره .**
- **المبحث السابع : مكانة تفسير أبي السعود .**
- **المبحث الثامن : الحواشي والتعليقات على تفسير أبي السعود .**

الفصل الثاني : الأمثلة التطبيقية من إرشاد العقل السليم (من خلال سورة البقرة) .

الخاتمة وتشمل على :

أ- أهم نتائج البحث .

ب- فهرس الموضوعات .

أخيراً ..

فإني لا أزعم أن هذا البحث قد خلا من كل عيب وسلم من كل نقص لأني أعتقد تمام الاعتقاد أنه مهما بالغت في تحريره وتهذيبه ، لابد من وجود هفوات وعثرات ومآخذ تثير الانتقاد على حد قول المزني : (لو عورض كتاب سبعين مرة لوجد فيه خطأ أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غير كتابه) ، فالكمال لله وحده ، ولا عصمة إلا لأنبيائه ورسله بالوحي ، وما كان في هذا البحث من صواب فهو بتوفيق الله وتسديده وفضله ورحمته ، وما كان فيه من خطأ فهو منى .

التمهيد:

المبحث الأول : الاستفهام

الاستفهام أسلوب بديع من أساليب العربية تتجلى فيه كل مظاهر البلاغة ووسائل الإعجاز وقد زادت أساليب الاستفهام في القرآن عن ألف أسلوب شملت أدواته المعروفة وأغراضه المستعملة على كثرة في بعض الأساليب أو الأغراض وقلة في بعضها الآخر .

الاستفهام لغة :

مأخوذ من الفهم الذي هو معرفتك الشيء بالقلب ، يقال : فهمت الشيء : عقلته وعرفته ، وأفهمه الأمر وفهمه إياه : جعله يفهمه ، واستفهمه : سأله أن يفهمه وقد استفهمني الشيء فأفهمته تفهيماً . [١]

واصطلاحاً :

هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة . [٢]

ثم إما أنه هو عين الاستخبار أو بينهما فرق ، قال ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : "الاستخبار " هو طلب خبر ما ليس عند المستخبر (وهو الاستفهام) ، وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق ، قالوا: وذلك أن أولى الحالتين الاستخبار لأنك تستخبر فتجاب بشيء ، فربما فهمته وربما لم تفهمه فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم ، تقول : افهمني ما قلته لي.

قالوا : والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم .[٣][٤]

---

(١) ينظر : لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت – ط١ ، لسان العرب مادة فهم (٤٥٩/١٢) .

(٢) ينظر : حاشية الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي على كتاب الإيضاح للخطيب القزويني (٥٥/٣) ، المطول في شرح تلخيص المفتاح للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتزاني ، ت : ٧٩٢هـ ، تحقيق الدكتور / عبد الحميد هنداوي ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، الأولى ، صـ٣٠٩ ، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، تأليف : أحمد مصطفى المراغي ، مراجعة محمود أمين ، ط: دار الفكر العربي ، ١٩٧٢م ، صـ٦٣ .

(٣) أقول : لعله يريد رحمه الله أنك تأتي بصيغة مبالغة من الخبر في حقه تعالى فتقول : خبير مثلاً ، ولكن ليس لك أن تأتي باسم فاعل من الفهم مثلاً فتقول : فاهم ، كما لك أن تصفه تعالى بالفعل اللازم والمتعدي من الإخبار فتقول : أخبر تعالى بكذا ويخبر تعالى بكذا ، وتقول أخبرنا ويخبرنا .

أما الفهم فليس لنا أن نصف الله بالفعل منه إلا أن يكون متعدياً لمفعولين كقوله تعالى : " ففهمناها سليمان " مثلا .

(٤) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين ، ت: ٣٩٥هـ ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط: عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧٧م ، شرح وتعليق السيد أحمد صقر صـ ٢٩٢ .

أما هل يصلح أن تراد حقيقة هذا التعريف مما جاء منه في القرآن أولا ، فإن الاستفهام إن كان مسوقاً من قبل الله تعالى نفسه أي بأن يستفهم الله عن شيء فإنه عندئذ لا يصلح أن تراد حقيقته ، لأنه تعالى يعلم السر وأخفى ، والأصل في تلك الحقيقة أن يطلب المستفهم فهم ما لا يعرف ، ومن ثم يجب التحول إلى نوع آخر مجازي من نوع أنواع الاستفهام ، أما إذا كان الاستفهام مسوقاً على لسان غيره تعالى فإنه يصح عندئذ أن تراد تلك الحقيقة كما يصح أن يراد غيرها من الأنواع على حسب المقامات .

المبحث الثاني : أنواع الاستفهام

قلنا إن الاستفهام قد يكون حقيقة وقد لا يكون ، فمن الأول قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف : ﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ ﴾ [1]

فإن قولهم : " ماذا .. " استفهام عن حقيقة المفقود التي لا يعرفونها .

وأما الثاني : أعني الذي لا تراد حقيقته فأنواع متعددة استوعبها البلغاء وتتحصل جملة في ما يكون السائل فيه عالماً بالجواب غير منتظر له من المسئول ، لكنه يسوقه لينشئ معنى يقتضيه المقام قاصداً إعلام المخاطب به [2] فمنها : –

١- النفي : وذلك عندما تجيء لفظة الاستفهام للنفي لا لطلب العلم كقوله تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [3] ، فظاهر الآية الكريمة الاستفهام ، والمعنى : ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان .

يقول العلامة أبو السعود في قوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ... ﴾[4] :(استفهام إنكاري في معنى النفي ، أي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما أمروا به والانتهاء عما نهوا عنه إلا أن يأتيهم الله .) [5]

---

(1) سورة يوسف ، الآية (٧١-٧٢) .

(2) ينظر : من إعجاز البيان في القرآن الاستفهام ، تأليف : محمد شكري أحمد الفيومي ، ط: دار القلم – دبي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، الأولى ، صـ٥٢ .

(3) سورة الرحمن ، الآية (٦٠) .

(4) سورة البقرة ، الآية (٢١٠) .

(5) تفسير أبي السعود ، ١٥/٢ .

وفي قوله : ﴿ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصرُكُم مِّن بَعْدِهِ ﴾ [١] ، يقول : (استفهام إنكاري مفيد لانتفائه ذاتاً وصفة بطريق المبالغة) . [٢]

٢- التعجب : كقوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام : ﴿ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾[٣] ، فالغرض من هذا السؤال هو التعجب لأن الهدهد كان لا يغيب عن سليمان إلا بإذنه فلما لم يبصره تعجب من حال نفسه وعدم رؤيته ... والمتعجب منه في الحقيقة هـــــو غيبة الهدهد من غير إذن ، فعند قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾[٤] ، يقول أبو السعود : (تعجيب لرسول الله من شناعة حالهم .... وتنبيه على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يرى ويتعجب منه) . [٥]

٣- التمني : كقوله تعالى : ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا ﴾ [٦] ، فالذين خسروا أنفسهم يتمنون أن يردوا إلى الدنيا فيعملوا غير الذي عملوه ولكن هيهات لهم الرجوع فما استعمل أسلوب التمني الحقيقي بل استعمل الاستفهام فجاء الأسلوب على إيحاء .

٤- التقرير : وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتاً ونفياً لغرض من الأغراض ، على أن يكون المقرر به تالياً لهمزة الاستفهام ، فتقول : أفعلت ؟ إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه، وتقول : أأنت فعلت ؟ إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل ، ومن الاستفهام التقريري قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [٧] فالتعبير بالاستفهام التقريري للإيذان بأنه من الوضوح والجلاء بحيث لا ينكر .

يقول الشيخ أبو السعود : (والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الإنكاري عن انتفائه للإيذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى).[٨]

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٦٠) .
(٢) تفسير أبي السعود ، ١٠٦/٢ .
(٣) سورة النمل ، الآية (٢٠) .
(٤) سورة الجاثية ، الآية (٢٣) .
(٥) تفسير أبي السعود ، ٢٢٠/٦ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية (٥٣) .
(٧) سورة الشرح ، الآية (١) .
(٨) تفسير أبي السعود ، ١٧٢/٩ .

وعند قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ ﴾ [١] ، يقول الشيخ : (والهمزة للتقرير ، أي أأخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم) . [٢]

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ [٣]، يقول العلامة عليه الرحمة: (استفهام تقرير ، ولذلك أكدوه بإن واللام) . [٤]

٥- التعظيم : وذلك بالخروج بالاستفهام عن معناه الأصلي واستخدامه في الدلالة على ما يتحلى به المسئول عنه من صفات عظيمة كقوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [٥]

يقول أبو السعود : (جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجب من حالهم) . [٦]

٦- التحقير : عندما يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على ضآلة المسئول عنه وصغر شأنه مع معرفة المتكلم أو السائل به كقوله تعالى : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ [٧] ، فالاستفهام بما الموضوعة لطلب الحقيقة تجاهل لهم ليحقر آلهتهم ويصغّر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها .

يقول العلامة أبو السعود: (وهذا تجاهل منه عليه السلام ، حيث سألهم عن أصنامهم بـــ (ما) التي يطلب منها بيان الحقيقة أو شرح الاسم ، كأنه يعرف أنها ماذا ، مع إحاطته بأن حقيقتها حجر أو شجر ، اتخذوها معبوداً ، وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الأغراض قصداً إلى تحقيرها وإذلالها وتوبيخاً لهم على إجلالها) . [٨]

٧- الاستبطاء : وهو عد الشيء بطيئاً في زمن انتظاره وقد يكون محبوباً منتظراً ، ولهذا يخرج الاستفهام يه عن معناه الأصلي للدلالة على بعد زمن الإجابة عن بعد

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٥) .
(٢) تفسير أبي السعود ، ١٥/٢ .
(٣) سورة يوسف ، الآية (٩٠) .
(٤) تفسير أبي السعود ، ٣٠٤/٤ .
(٥) سورة الواقعة ، الآية (٢٧) .
(٦) تفسير أبي السعود ، ١٩٢/٨ .
(٧) سورة الأنبياء ، الآية (٥٢) .
(٨) تفسير أبي السعود ، ٧٢/٦ .

زمن السؤال وهذا البعد يستلزم الاستبطاء كقوله تعالى : ﴿ مَتَى نَصْرُ اللّهِ﴾ [١] فالمؤمنون لما وعدهم الله النصر والظفر استبطأوا ذلك لما وصل إليهم من الشدة .

يقول الشيخ رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية : (طلباً وتمنياً له ، واستطالة لمدة الشدة والعناء) . [٢]

٨- الإنكار : قد يرد أسلوب الاستفهام للدلالة على أن المستفهم عنه أمر منكر عرفاً أو شرعاً والاستفهام الإنكاري يكون على عدة أوجه .

أ- إنكار توبيخي على أمر وقع في الماضي كقوله تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [٣] فالحق سبحانه وتعالى ينكر الإشراك الذي وقع منهم ويوبخهم على ذلك.

ب- إنكار توبيخي على أمر واقع في الحال أو خيف وقوعه نحو : أتعصي ربك ؟ تقول هذا لمن هو واقع في المنكر أو لمن هم أن يقع فيه ، على معنى : لا ينبغي أن يحدث منك العصيان حالاً أو يصدر استقبالاً .

جـ- إنكار التكذيب في الماضي : بمعنى لم يكن ، كقوله تعالى لمن اعتقدوا أن الملائكة بنات الله : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثاً ﴾ [٤] أي : أخصكم ربكم بالذكور وخص نفسه بالبنات ؟ أي أنه لم يفعل هذا لتعاليه عن الولد مطلقاً .

د- إنكار للتكذيب في الحال أو في المستقبل : بمعنى : لا يكون ، نحو قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام عندما دعا قومه إلى التوحيد وكذبوه : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [٥] أي أنلزمكم تلك الحجة البينة على أني رسول الله ونكرهكم على قبولها ؟ والحال أنكم لها كارهون ؟ يعني لا يكون هذا الإلزام ، وقد أشار أبو السعود إلى هذا النوع في مواطن كثيرة ، منها قوله

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢١٤) .

(٢) تفسير أبي السعود ، ٢١٥/١ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٩١) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٤٠) .

(٥) سورة هود ، الآية (٢٨) .

تعالى : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾ [١] ، حيث قال: (والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه ، وادعاء أنه أمر محال). [٢]

وكذا عند قوله أيضاً : ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٣]، يقول : (إنكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في أمر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر) . [٤]

٩- التهكم : ويقال له أيضاً : السخرية والاستهزاء وهو إظهار عدم المبالاة بالمستهزأ أو المتهكم به مثل قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾ [٥] ، فسيدنا إبراهيم عليه السلام ذهب خفية إلى أصنام قومه فقال لهم هذا القول تهكما بهم وسخرية واستهزاء ، وإلى هذا المعنى أشار أبو السعود في إرشاده . [٦]

١٠- التشويق : وفيه لا يطلب السائل العلم بشيء لم يكن معلوماً له من قبل ، وإنما يريد أن يوجّه المخاطب ويشوقه إلى أمر من الأمور كقوله تعالى على لسان إبليس عندما راح يوسوس لآدم ويغريه بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ [٧]

١١- التنبيه على الضلال : نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [٨] فليس القصد هنا الاستفهام عن مذهبهم وطريقهم ، بل التنبيه على ضلالهم وأنه لا طريق لهم ينجون به ، يقول الشيخ : (استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن ...) . [٩]

١٢- الأمر : نحو قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [١٠] أي أسلموا .

---

(١) سورة طه ، الآية (٥٧) .
(٢) تفسير أبي السعود ، ٢٣/٦ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية (١٠) .
(٤) تفسير أبي السعود ، ٥٨/٦ .
(٥) سورة الصافات ، الآية (٩١-٩٢) .
(٦) ينظر : إرشاد العقل السليم ، ١٩٨/٧ .
(٧) سورة طه ، الآية (١٢٠) .
(٨) سورة التكوير ، الآية (٢٦) .
(٩) تفسير أبي السعود ، ١١٩/٩ .
(١٠) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٨) .

١٣- النهي : قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى النهي ، أي إلى طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء نحو قوله تعالى : ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [١] أي لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه .

١٤- التسوية : تحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] إن الكفار يعلمون مسبقاً أنهم أنذروا ومع ذلك أصروا على كفرهم وعنادهم ولهذا جاء الاستفهام هنا للدلالة على أن إنذار الرسول وعدمه بالنسبة لهم سواء .

١٥- العرض : وهو طلب الشيء برفق ولين نحو قوله تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [٣] .

١٦- التحضيض : ومعناه طلب الشيء بحض نحو قوله تعالى : ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ ﴾ [٤] [٥]

يقول العلامة عليه الرحمة : (الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للإنكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الإقرار بانتفائها ، كأنه أمر لا يمكن أن يعترف به طائعاً لكمال شناعته، فيلجئون إلى ذلك ولا يقدرون على الإقرار به فيختارون المقاتلة) . [٦]

وبهذا يتبين أنّ جُل ما ذكره البلاغيون إن لم نقل كله من أنواع الاستفهام قد جاء في القرآن المجيد .

---

(١) سورة التوبة ، الآية (١٣) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٦) .

(٣) سورة النور ، الآية (٢٢) .

(٤) سورة التوبة ، الآية (١٣) .

(٥) ينظر : علم المعاني ، تأليف : الدكتور/ عبد العزيز عتيق ، ط: دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، صـ ١٠٤ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ٤٨/٤ .

المبحث الثالث : منهجي في البحث

ويتلخص منهج البحث في النقاط التالية :

١- تخيرت أمثلة لأنواع الاستفهام من خلال النظر في تفسير الإمام أبي السعود وتحديداً من سورة البقرة .

٢- بينت الأسرار البلاغية للأمثلة المختارة .

٣- عند ورود الآيات القرآنية قمت ببيان اسم السورة ورقم الآية في الهامش .

٤- عزوت الأقوال إلى قائليها وأشرت إلى المراجع في الهامش مبيناً اسم الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة .

٥- كل كلام موضوع بين علامتي تنصيص فهو منقول بنصه ، وإذا تصرفت في حروف يسيرة منه أشرت إلى ذلك في الهامش ، عقب الإحالة بلفظ (بتصرف) ، أما إذا كان الكلام منقولاً بمعناه أو بتصرف كثير لم أضعه بين علامتي تنصيص ، ثم صدرت الإحالة بلفظ (ينظر) .

٦- قمت بعمل خاتمة ، وهي تشتمل على :

أ- أهم نتائج البحث .

ب-فهرس الموضوعات .

الفصل الأول : ترجمة الإمام أبي السعود

المبحث الأول : اسمه وكنيته ونسبه

هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي . [١]

المبحث الثاني : مولده ونشأته

مولده : ولد الإمام أبو السعود في سنة ٨٩٨هـ بقرية قريبة من القسطنطينية من خواص أوقاف الزاوية التي بناها السلطان بايزيد خان للشيخ محيي الدين والد أبي السعود . [٢]

نشأته : لقد أحاطت بالعلامة أبي السعود ظروف أهلته لأن يكون الذي كان ، فقد تربى في أسرة مشهورة بالعلم والتقى والروع ، فوالده هو الشيخ محيي الدين محمد ابن مصطفى الأسكليبي الذي جمع بين رياستي العلم والعمل وأحبه السلطان بايزيد خان حتى اشتهر بين الناس بشيخ السلطان . [٣]

وأما والدته فهي سليلة بيت علم وفضل ، فهي بنت أخي العلامة علاء الدين علي القوشجي الذي برع في شتى العلوم وكانت له باع طويلة في العلوم الرياضية وله مصنفات عديدة في فروع العلم المختلفة . [٤]

ومن هنا ندرك سر نبوغ الإمام أبي السعود فنشأته في هذه البيئة الزاخرة بالعلم والفضل كان لها أكبر الأثر في تربيته .

---

(١) ينظر : العقد المنظوم ، لطاش كبرى زادة صـ ٤٤٠ ، معجم المؤلفين – لعمر رضا كحاله ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (٣٠١/١١) ، قلت : من هنا يقال أبو السعود العمادي نسبة إلى لقب أبيه ، والعماد: الأبنية الرفيعة العالية ، والعمادية : قلعة شمال الموصل . (ينظر : حاشية السقا على تفسير أبي السعود ، للشيخ إبراهيم السقا ، مخطوط بمكتبة الأزهر (تفسير) ، برقم : ١٣٢٢.

(٢) ينظر : العقد المنظوم صـ٤٤٠ ، الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط : العاشرة ، ١٩٩٢م ، (٥٩/٧) .

(٣) ينظر : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده ، ط: دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م ، (٢٨٣/١) .

(٤) المصدر نفسه ، (١٧٧/١) .

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه

شيوخه :

مما لا شك فيه أن من الروافد التي تسهم في تكوين علم الرجل وثقافته الشيوخ ، فهم القدوة العلمية له فلقد فتح الإمام أبو السعود عينيه على جهابذة الفكر والأدب فنهل من ينابيعهم وقطف من بساتينهم وكان أعظمهم أثراً فيه والده .

١- العارف بالله تعالى الشيخ / محيي الدين محمد الإسكليبي : برع في العلوم ، وجمع بين رياستي العلم والعمل توفي رحمه الله تعالى في سنة (٩٢٠هـ) . [١]

٢- ابن المؤيد : العالم الفاضل الكامل المولى عبد الرحمن بن علي المؤيد الأماسي ، وكان مهيباً عظيم الشأن ماهراً في البلاغة والبيان ولد في سنة (٨٦٠هـ) وتوفي في سنة (٩٢٢هـ) . [٢]

٣- ابن قطب الدين : هو محيي الدين محمد بن محمد الحنفي أحمد موالي الروم المعروف بابن قطب الدين توفي رحمه الله تعالى في سنة (٩٥٧هـ) . [٣]

٤- القوشجي : هو علي بن محمد القوشجي الحنفي علاء الدين عالم مشارك في أنواع العلوم ، توفي رحمه الله تعالى في سنة (٨٧٩هـ) . [٤]

٥- ابن المعلول : هو العالم الفاضل الكامل المولى محيي الدين محمد بن عبد القادر ، توفي رحمه الله في سنة (٩٦٣هـ) . [٥]

٦- العالم الفاضل الكامل سنان الدين يوسف : توفي رحمه الله في سنة (٨٩١هـ).[٦]

---

(١) ينظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للمؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (٤٠١/٤) ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، محمد عبد الحي اللكنوي ، ط: دار المعرفة ، بيروت ، (٣٣٥) .

(٢) ينظر : الشقائق النعمانية (١٧٦/١) ، شذرات الذهب (١٠٩/٤) ، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق: الدكتور / جبرائيل ، ط: دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (٢٣٢/١) .

(٣) ينظر : شذرات الذهب (٣٢٠/٤) ، الكواكب السائرة (١٩/٢) .

(٤) ينظر : البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع للشوكاني ، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، (٤٩٥/١) ، معجم المؤلفين (٢١٦/٧) ، الأعلام للزركلي (٩/٥) .

(٥) ينظر : الشقائق النعمانية (٢٨٩/١) وشذرات الذهب (٣٣٩/٤) .

(٦) ينظر : طبقات المفسرين للأدنروي ، تحقيق : الدكتور / صالح الخزي ، ط: مكتبة العلوم والحكم ، الأولى ، (٣٥٢/١) ، الشقائق النعمانية (١٦٧/١) ، الفوائد البهية (٥٧٠) .

٧- سعدي جلبي : هو سعد الدين عيسى بن أميرخان الحنفي المعروف بسعدي جلبي ، توفي رحمه الله سنة (٩٤٥هـ) . [١]

تلاميذه :

١- شيح زاده : المولى عبد الرحمن بن جمال الدين الحنفي الإمام العلامة اهتم في تحصيل المعارف غاية الاهتمام، توفي رحمه الله تعالى في سنة (٩٧١هـ).[٢]

٢- السعودي : المولى محمد بن حسن الشريف الحسيب المعروف بالسعودي أخذ هو وأخوه المعروف بالجنابي عن المولى أبي السعود ، وكان السعودي إماماً محققاً مدققاً ، توفي في سنة (٩٩٩هـ) . [٣]

المبحث الرابع : علمه وآثاره العلمية وثناء العلماء عليه

مؤلفاته :

إن الإمام أبا السعود الذي فتح عينيه على جهابذة الفكر والأدب فنهل من ينابيعهم وقطف من بساتينهم، وعرف في مقاعد الدرس شوارد اللغة وأسرار الشريعة وفقه الحياة حتى تضلع من العلم والعمل ، لم يشغله التدريس والقضاء والإفتاء عن أن يختلس بعض الوقت للكتابة والتأليف .

قال صاحب العقد المنظوم : (وقد عاقه الدرس والفتوى والاشتغال بما هو أهم وأقوى عن التفرغ للتصنيف) . [٤]

من مؤلفاته التي ذكرها أصحاب التراجم :

ومع الأعمال الجسام التي كان يقوم بها فقد اختلس بعض الأوقات للكتابة والتأليف ، وقد ذكرت له كتب التراجم عدداً من الرسائل والمصنفات أهمها ما يلي :

١- تحفة الطلاب في المناظرة .

٢- رسالة في المسح على الخفين .

٣- رسالة في تسجيل الأوقاف .

٤- رسالة في مسائل الوقوف .

---

(١) ينظر : الشقائق النعمانية (٢٦٥/١) ، شذرات الذهب (١٢٦٢/٤) ، الفوائد البهية (١٣٥) .

(٢) ينظر : شذرات الذهب (٣٦٠/٤) ، الشقائق النعمانية (٣٦٢/١) .

(٣) ينظر : شذرات الذهب (٤٤٠/٤) ، الكواكب السائرة (٥٥/٣) .

(٤) ينظر : العقد المنظوم (٢٨٩/٢) .

٥- قصة هاروت وماروت .
٦- بعض الحواشي على الكشاف .
٧- بضاعة القاضي في الصكوك .
٨- تهافت الأمجاد في فروع الفقه الحنفي .
٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، وهو تفسيره وسفره الجليل الذي علت شهرته الآفاق ، وذاع صيته في المشارق والمغارب .

ومن تأمل في مصنفاته يجد أكثرها في مسائل الفقه ولوازم القضاء والإفتاء ، وهذا ما يتلائم مع طبيعة عمله في القضاء والفتيا . [١]

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

لقد برع الإمام أبو السعود في شتى العلوم وحاز قصب السبق بين أقرانه فلم يقدر أحد أن يحاربه في ميدانه ، وارتقى أعلى المراتب العلمية ، وتقلد أرقى المناصب العثمانية . قال عنه صاحب العقد المنظوم : (كان الإمام أبو السعود من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها ، وضربت له نوبة الامتياز في مشارق الأرض ومغاربها ، تفرد في ميدان فضله فلم يجاره أحد ، ولو تكلم في نقل الجبال الراسيات والأطواد الشامخات لأبر كلامه ، ولو قصد إلى راحلة الدهر لألقت لديه زمامه) . [٢]

وقال عنه صاحب الفوائد البهية : (الإمام أبو السعود شيخ كبير وعالم نحرير لا في العجم له مثيل ولا في العرب له نظير ، انتهت له رياسة الحنفية في زمانه وبقي مدة العمر في الجلالة وعلو الشأن ، وكان يجتهد في بعض المسائل ويخرج ويقرر بعض الدلائل ، وله في الأصول والفروع قوة كاملة وقدرة شاملة وفضيلة تامة وإحاطة عامة). [٣]

---

(١) ينظر : المرجع السابق (٢٩٠/٧) ، معجم المؤلفين (٣٠٢/١١) ، التفسير والمفسرون لمحمد بن حسين الذهبي، ط: دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الثانية ، ١٩٧٦م ، (٣٤٦/١) .

(٢) ينظر : العقد المنظوم (٤٤٠/١) .

(٣) ينظر : الفوائد البهية (٨١) .

وقال عنه صاحب الكواكب السائرة : (الإمام العلامة المحقق المدقق الفهامة ، العلم الراسخ والطود الشامخ مفتي التخت السلطاني ، أعظم موالي الروم وأفضلهم ، لم يكن له نظير في زمانه في العلم والرئاسة والديانة) . [١]

المبحث الخامس : وفاته

إن أيام الحياة معدودة وهي ستنقضي مهما طال أمدها ، فبعد أن مكث العلامة أبو السعود في منصب الإفتاء ومشيخة الإسلام قرابة الثلاثين عاماً وافته المنية بالقسطنطينية في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة . [٢]

قال صاحب العقد المنظوم (ظل أبو السعود في منصب الإفتاء مكرماً مهاباً ، يفتح أقفال المشكلات ويسهل طرق المعضلات ، ويجيب على الأسئلة السداد بأجوبة حسان ، إلى أن دعى من جنان ربه إلى رياض الجنان وكان ذلك في أوائل جمادى الأولى من شهور سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة) .

وقد حضر جنازته العلماء والوزراء وسائر أرباب الديوان وخلق لا يحصون كثرة ، وصلى عليه المولى سنان [٣]، وذلك في جامع السلطان محمد خان ، وذهبوا به إلى جوار المرقد أبي أيوب الأنصاري ، وهم يبالغون في ثنائه، ودفنوه في حظيرة أعدها لنفسه وأبنائه . [٤]

المبحث السادس : تأليف أبي السعود لتفسيره

تحين أبو السعود فرصاً من أوقاته بعد توليه أمر الفتيا ، وصنف تفسيره ، وقد حكى في مقدمة تفسيره ذلك فقال : (وكنت أتردد في ذلك بين إقدام وإحجام لقصور شأني وعزة المرام .... ومضت الدهور والسنون وتغيرت الأطوار والشئون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد ، وأخرى في قضاء العساكر والأجناد ، فحال بيني وبين ما كنت أخال تراكم المهمات وتزاحم الأشغال ... إلى أن قال : فلما انصرمت

---

(١) ينظر : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (٣٥/٣) .

(٢) ينظر : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (٣٦/٣) ، شذرات الذهب (٣٩٨/٨) ، الأعلام للزركلي (٥٩/٧)، معجم المؤلفين (٣٠١/١١) .

(٣) المولى يوسف المشتهر بالمولى سنان ، ت : ٩٨٦هـ بعد حياة حافلة بالعلم والتأليف ، وله حاشية على تفسير البيضاوي . (ينظر : العقد المنظوم ، ٢٧١/٢) .

(٤) ينظر : العقد المنظوم (١٨٨) .

عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ، ورأيت الفرصة على جناح الفوات ... وقد مسني الكبر ، ودنى الأجل من الحلول ، وأشرفت شمس الحياة على الأفول ، عزمت على إنشاء ما كنت أنويه ، وتوجهت إلى إملاء ما ظلت أبتغيه ، ناوياً أن أسميه عند تمامه بتوفيق الله وإنعامه : " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ") . [١]

أقول : من هذا النص نرى أنه قد عقد النية من قديم على تأليف هذا التفسير ، ولكن عاقه القضاء عن ذلك ، فانتظر فراغ باله ولكن جاءه ما شغله من القضاء وهو قيامه بمهمة الإفتاء ، ومع هذا فقد عزم على تنفيذ مرامه وتحصيل رغبته ، فتحين الفرصة لذلك .

المبحث السابع : مكانة تفسير أبي السعود

حظي تفسير أبي السعود بمكانة سامقة بين كتب التفسير ، ونال شهرة واسعة لدى العلماء وطلاب العلم نظراً لدقة مباحثه وغزارة مادته وبعده عن التطويل في المباحث الدخيلة على التفسير .

وقد أثنى عليه المتقدمون والمتأخرون ، فهذا صاحب العقد المنظوم يقول : " وقد أتى أبو السعود في تفسيره بما لم تسمح به الأذهان ولم تقرع به الآذان ، فصدق المثل السائر : كم ترك الأول للآخر . " [٢]

وقال صاحب الفوائد البهية : " وقد طالعت تفسير أبي السعود وانتفعت به ، وهو تفسير حسن ليس بالطويل الممل ولا القصير المخل ، متضمن لطائف ونكات ، مشتمل على فوائد وإشارات . " [٣]

وقال الدكتور محمد حسين الذهبي : " والحق أن هذا التفسير غاية في بابه ، ونهاية في حسن الصوغ وجمال التعبير ، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد إليه ، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم ، وشهد له كثير من العلماء بأنه خير ما كتب في التفسير . " [٤]

---

(١) تفسير أبي السعود ، ١/٥، ٦ .

(٢) العقد المنظوم ، ٢٨٩/٢ .

(٣) الفوائد البهية ، صـــ ٨٢ .

(٤) التفسير والمفسرون ، ٣٤٧/١ .

المبحث الثامن : الحواشي والتعليقات على تفسير أبي السعود

ذكر صاحب كشف الظنون بعض ما كتب على تفسير أبي السعود من تعليقات وهي كما ذكرها : [1]

١- تعليقة الشيخ أحمد الرومي الإقحصاري المتوفى سنة (١٠٤١هـ) وهي من سورة الروم إلى سورة الدخان .

٢- تعليقة الشيخ رضي الدين بن يوسف المقدسي ، وهي تعليقة عظيمة ، علقها إلى قريب من النصف ...

٣- شرح ديباجة تفسير أبي السعود ، وقد شرحها محمد بن محمد الحسيني المدعو بزيرك زاده المتوفى سنة (١٠٠٣هـ) ....

(1) ينظر : كشف الظنون ، ٦٧/١ .

الفصل الثاني

الأمثلة التطبيقية من إرشاد العقل السليم (من خلال سورة البقرة)

المثال الأول :

قال العلامة أبو السعود بعد تفسير قوله (سَوَاءٌ) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [١] ، " وقوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ متعلق به[٢] ومعناه عندهم وارتفاعه على أنه خبر ، لأن قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ ﴾ مرتفع به على الفاعلية لأن الهمزة وأم مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما، كما جرد الأمر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [٣] وحرف النداء في قولك : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص ، كأنه قيل : إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه ، كقولك : إن زيداً مختصم أخوه وابن عمه ، أو مبتدأ [٤] و ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ خبر مقدم عليه اعتناء بشأنه ، والجملة خبر لإن ، والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه عند بقائه على حقيقته .

وأما لو أريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه ، كما في قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [٥] وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ ﴾ [٦] وفي قولهم : (تسمع بالمعيدي خير من تراه) ، كأنه قيل : إنذارك وعدمه سيان عليم، والعدول إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد ، والتوصل إلى إدخال الهمزة ومعادلها عليه لإفادة تقرير معنى الاستواء وتأكيده كما أشير إليه " . [٧]

---

(١) سورة البقرة ، آية (٦) .

(٢) أي بقوله تعالى : (سَوَاءٌ) .

(٣) سورة التوبة ، آية (٨٠) .

(٤) وهو قوله : ﴿ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ .

(٥) سورة المائدة ، آية (١١٩) .

(٦) سورة البقرة ، آية (١١) .

(٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي ، ت: ٩٥١هـ ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ٣٦/١ .

التعليق :

مراده رحمه الله أن هذه الآية فيها التجرد من الاستفهام والخلوص للتسوية كما خلص قوله: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ من إرادة الأمر والنهي ، وكما خلص التخصيص في (اللهم اغفر لنا أيتها العصابة) من النداء ، بمعنى أنهم يخصون أنفسهم بطلب المغفرة فلا يقال : يا أيتها العصابة .

كما أن العلامة ذكر لنا وجهين في الإعراب :

الوجه الأول : أنه جعل قوله : ﴿ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ فاعل لقوله : ﴿ سَوَاءٌ ﴾ على أن الأصل : إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه .

الوجه الثاني : أنه جعل قوله : ﴿ سَوَاءٌ ﴾ خبر مقدم ، وقوله : ﴿ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ مبتدأ مؤخر، والهمزة وأم جردت عن معناها إلى معنى الاستواء كالأول ، وقدم للاهتمام بشأنه .

وعلى الوجه الأخير يقال : هل يصلح أن يقع الفعل مبتدأ ؟؟

يقال في الجواب عن هذا التساؤل:أن الفعل إنما يمتنع الإخبار عنه لو كان باقياً على أصله، أما لو قصد لفظه أو الحدث الذي يتضمنه فلا إشكال كما ههنا، ومن ذلك قوله: ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ على معنى : هذا ينفع الصادقين على إرادة الحدث منه، وكذا قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ ﴾ على أن ﴿ لاَ تُفْسِدُواْ ﴾ نائب فاعل وثبوت وقوعها فعلاً ، لكن المراد منها لفظها، أي : قيل لهم عين هذا اللفظ .

وكذا ما مثل به رحمه الله: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) ، إذ الأصل: (أن تسمع)، حذفت (أن) ، والأحسن ألا يبقى عملها بعد حذفها مما يستلزم تغير الإعراب ، وذلك بأن نجعل (تسمع) مبتدأ قصد منه الحدث أي المصدر، و (خير) خبر للمبتدأ .

فيكون المعنى المراد على الوجه الثاني : إنذارك وعدم إنذارك عندهم سيان .

المثال الثاني :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً ﴾ (١)

(١) سورة البقرة ، آية (٢٦) .

قال العلامة أبو السعود : " إما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي ، وصلته ما بعده، والعائد محذوف ، فالأحسن أن يجيء جوابه مرفوعاً ، وإما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى أي شيء ، فالأحسن في جوابه النصب ". [1]

التعليق :

ذكر الشيخ عليه الرحمة أن الاستفهام في هذه الآية على وجهين :

الأول : أن تكون (ما) اسم استفهام ، و (ذا) اسم موصول بمعنى الذي ، وقوله : "أراد الله " صلته ، على معنى : ما الذي أراده الله بهذا مثلا ؟؟ ، فيكون الأحسن في جوابه الرفع ، بأن يقال مثلاً : هو الخير أو الاختبار .

الثاني : أن تكون " ماذا " اسم استفهام وقعت مفعولاً به مقدماً ، وقوله " أراد " هو الناصب لها ، مما يستوجب معه نصب جوابه ، بأن يقال مثلاً : أراد الاختبار أو الخير.

المثال الثالث :

قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [2]

قال العلامة أبو السعود : " التفات إلى خطاب المذكورين مبني على إيراد ما عد من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع ، والاستفهام إنكاري لا بمعنى إنكار الوقوع [3] كما في قوله : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ ﴾ [4] إلخ ، بل المعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه ، وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفس الكفر بأن يقال : أتكفرون ، لأن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعاً فإذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني " [5]

---

(1) إرشاد العقل السليم ، ٧٤/١ .

(2) سورة البقرة ، آية (٢٨) .

(3) لأنه لو كان بمعنى إنكار الوقوع لكان الكفر منهم غير حاصل .

(4) سورة التوبة ، آية (٧) .

(5) إرشاد العقل السليم ٧٧/١ .

التعليق :

بين الشيخ عليه الرحمة نكته من نكت الاستفهام البليغة في المعنى المراد ههنا ، والمتمثلة في التساؤل عن الفرق بين أن يقال : " أتكفرون " و " كيف تكفرون " ؟؟ فأجاب بما مفاده أن الاستفهام بـــ " كيف " أبلغ في الدلالة والوقوع ، حيث إن همزة الاستفهام تفيد ما إذا لو وقع استنكار الكفر منهم فقط إضافة إلى عدم البرهان على عدم وقوعه ، ومعلوم أن الاستفهام بـــ " كيف " يفيد الحال ، بمعنى : على أية حال وجد منكم هذا الكفر ؟ وليست هناك حال من الأحوال التي يمكن أن يوجد عليها الكفر إلا وهي متعجب منها ومستنكرة ، فإن نحن أنكرنا ونفينا جميع الأحوال التي يمكن أن يقع عليها الكفر فقد نفينا الكفر بالطريق البرهاني ، أي : هذا غير موجود بدليل أنه ليس له حال بالمرة .

المثال الرابع :

قولـــــه تعالى : ﴿ أَتَأْمُـــــرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [1]

قال العلامة أبو السعود :" تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بعد توجيهه إلى الكل ، والهمزة فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب .... إلى أن قال : ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ أي أتتلونه فلا تعقلون ما فيه ، أو قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه، فالإنكار متوجه إلى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف، أو ألا تتأملون فلا تعقلون ، فالإنكار متوجه إلى كلا الأمرين ، والمبالغة حينئذ من حيث الكم " . [2]

التعليق :

مراد العلامة عليه الرحمة ههنا أن الإنكار في الاستفهام متوجه إلى عدم التعقل والتأمل كيفاً وكماً ، وبيان ذلك : أن التلاوة متوجهة لعدم التعقل في الأول فقط ، لكن بعد تحقق ما يوجبه ، كأنه قيل : كيف لا تعقلون قبح صنعكم بعد تحقق ما يوجب العقل ، وعلى الثاني كأنه قيل : إنكم لو تأملتم لساقكم ذلك إلى تعقل عدم الجواز ، حتى وكأن المستنكر منهم أمران اثنان : إنكار عليهم عدم التعقل والتأمل .

([1]) سورة البقرة ، آية (٤٤) .

([2]) إرشاد العقل السليم ٩٧/١ .

المثال الخامس :

قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [1]

قال العلامة أبو السعود : " تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود إثر ما عدت سيئاتهم ونعيت عليهم جناياتهم إلى النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين ، والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده كما في قوله : أتضرب أباك؟ لا لإنكار الوقوع كما في قولك : أأضرب أبي؟ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام ، لكن لا على قصد توجيه الإنكار إلى المعطوفين معاً كما في " أفلا تبصرون " على تقدير المعطوف عليه منفياً أي ألا تنظرون فلا تبصرون ؟ فالمنكر كلا الأمرين بل إلى ترتيب الثاني [2] على الأول [3] مع وجوب أن يترتب عليه نقيضه كما إذا قدر الأول مثبتاً ، أي أتنظرون فلا تبصرون ؟ فالمنكر ترتب الثاني على الأول مع وجوب أن يترتب عليه نقيضه أي أتسمعون أخبارهم وتعلمون أحوالهم فتطمعون ؟ ومآل المعنى : أبعد أن علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ؟ " [4]

التعليق :

أجاد الشيخ عليه الرحمة في بيان الاستفهام ههنا وما يترتب عليه من خلال المثال الذي أورده ، وتوضيح ذلك : لو كان هناك أمران معطوفان يتوجه الإنكار إليهما جميعاً ، كما لو قيل : ألا تنظرون فلا تبصرون؟ ومعناه : أنتم لا تنظرون ولهذا لا تبصرون .

على حين لو قيل : أتنظرون فلا تبصرون ؟ فإن الإنكار متوجه إلى المعطوف وحده ، أي إلى ترتب عدم الإبصار على النظر ، وكان ينبغي أن يترتب عليه النقيض وهو الإبصار ، وما معنا في هذا المثال من هذا القبيل ، فمعنى الاستفهام المذكور : أتسمعون أخبارهم وتعلمون أحوالهم فتطمعون ؟ وفيه صرف للخطاب عن اليهود إلى النبي ومن معه ، فإن كلام اليهود المستدعي لأن يؤيسهم من إيمانهم ومع ذلك تطمعون ؟ فكان من المفترض أن يترتب عدم الطمع في أن يؤمنوا لهم .

---

(1) سورة البقرة ، آية (٧٥) .

(2) وهو الطمع .

(3) وهو المعطوف عليه المحذوف .

(4) إرشاد العقل السليم /١١٦ .

المثال السادس :

قوله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [1]

قال العلامة أبو السعود : " أي التوراة التي أخذ فيها الميثاق المذكور ، والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام ، أي أتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة ، ﴿ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ وهو حرمة القتال والإخراج مع أن من قضية الإيمان ببعضه الإيمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى داخلاً في الميثاق ، فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع إيمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم، فإن التقديم [2] يستدعي في المقام الخطابي أصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتماً ، وإذ ليس ذلك ههنا باعتبار الإنكار والتوبيخ عليه [3] وهو [4] باعتبار الوقوع قطعاً لا إيمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل : أفتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض؟ ولا مجرد كفرهم بالبعض وإيمانهم بالبعض كما يفيده أن يقال : أفتجمعون بين الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض أو بالعكس". [5]

التعليق :

أفاض الشيخ عليه الرحمة ههنا في البيان ما يجعلنا الوقوف على واقعه وتصوره حسبما فسر به الجملة الاستفهامية .

أقول : إن واقع الأمر أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ، لكن هل واقع الأمر أنهم يكفرون بالبعض الآخر من كتابهم ؟؟

فالجواب : أنهم يؤمنون بالكل ولا يكفرون ببعض كتابهم ، ولذا كان الإنكار عليهم بحسب الوقوع لا بالواقع، إذ الواقع إيمانهم بالكل ، إنما يفعلون عكس ما يقتضيه الإيمان بالكل ، فكونهم يفعلون شيئاً اقتضاه الإيمان بالكتاب ويفعلون عكسه الذي يقتضيه الكفر به فكأنهم كفروا به ، هذا ما كان يجب تجليته واستيضاحه .

---

(1) سورة البقرة ، آية (٨٥) .

(2) أي : تقديم الإيمان .

(3) أي : على الإيمان .

(4) أي : الإنكار والتوبيخ .

(5) إرشاد العقل السليم ١/١٢٥ .

وأما قوله : (وهو باعتبار الوقوع قطعاً) أي أنه لم يقع منهم الكفر بالفعل ، إنما الواقع إيمانهم بالكل ، غاية ما هنا لك أن مقتضى فعلهم هذا فعل من آمن بالبعض وكفر بالبعض .

وأما قوله : (لا إيمانهم بالبعض) : هذه الجملة معطوفه على السابق من قوله : (فمناط التوبيخ ...) على معنى : فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع إيمانهم بالبعض الآخر لا إيمانهم ، فعرف أن مناط التوبيخ ليس هو الإيمان .

وأما إن قيل : هل التوبيخ على أنهم كفروا بالبعض مع كونهم مؤمنين ؟ أو على أنهم آمنوا مع كفرهم ؟ يجاب عن ذلك بمثال يقربنا ويرشدنا إلى مراد العلامة ، كمن جمع بين أمرين ، أحدهما حسن والآخر قبيح ، فيقال له من باب الإنكار : أوبخك على القبيح الذي أتيت به مع الحسن ، ولست أنكر عليك أنك أتيت بالحسن مع القبيح ، لأن الحسن لا يستنكر ، ففعلك الحسن كان ينبغي ألا تشوهه بالقبيح .

فمناط التوبيخ : كونهم أتوا بما شوه الحسن ، لا أن مناط التوبيخ الحسن مع القبيح ، فلو قدم الكفر في الجملة الاستفهامية كان يفهم أن مناط التوبيخ على كونهم أتوا بالإيمان مع الكفر ، وهو غير مراد ، فالتوبيخ على مراد الشيخ ليس على الإيمان ، بل على الكفر القبيح ، ولا توبيخ كذلك على الجمع بينهما، والله أعلم بحقيقة الحال على كل حال .

المثال السابع :

قوله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ [1]

قال العلامة أبو السعود : " تجريد للخطاب عن النبي ﷺ وتخصيص له بالمؤمنين ، وأم منقطعة (ومعناها) بل، فيها الإضراب والانتقال من حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وأمارات التأثر من أقاويل الكفرة إلى التحذير من ذلك ، ومعنى الهمزة إنكار وقوع الإرادة منهم واستبعاده لما أن قضية الإيمان وازعة عنها ، وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها [2] للمبالغة في

([1]) سورة البقرة ، آية (١٠٨) .

([2]) وهو سؤال الرسول ﷺ ، إذ إنه لم يقل : أم تسألون رسولكم ، فوجه الإنكار إلى الإرادة لا إلى مفعولها.

إنكاره واستبعاده ببيان أنه مما لا يصدر عن العاقل إرادته فضلاً عن صدوره نفسه والمعنى بل أتريدون " . [1]

التعليق :

هذا المثال وتفسير الشيخ له هو من الوضوح بمكان مكين ، سوى الإشارة فيه إلى (أم) وبيان أنها ترد متصلة ومنقطعة ، كقول : (أفي الدار زيد أم عمرو) فهي هنا متصلة معادلة للهمزة حين السؤال عن أيهما في الدار ، بعكس قول القائل : (في الدار رجل أم امرأة) على انقطاعها بمعنى بل والهمزة ، وبل تفيد الإضراب وهو على قسمين : انتقالي وإبطالي على التفصيل المذكور في مظانه .

وقول الله : " أم تريدون .. " فالاستفهام متوجه إلى أنه ما كان ينبغي أن تقع لكم مجرد الإرادة على إنكار الوقوع دون الواقع .

المثال الثامن :

قوله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [2]

قال العلامة أبو السعود : " أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة ، ومعنى الهمزة إنكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم ، وقوله تعالى : " إذ قال " بدل من إذ حضر أي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله: ﴿ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ﴾ أي أيّ شيء تعبدونه بعد موتي فمن أي لكم أن تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجماً بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والإنكار والتبكيت ، ثم بين أن الأمر قد جرب حينئذ على خلاف ما زعموا ، وأنه عليه السلام أراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما إذ به يتم وصيته بقوله : ﴿ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ، و (ما) يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن شيء بعينه وإن سئل عن وصفه قيل : ما زيد ؟ أفقيه أم طبيب ؟ " . [3]

---

(1) إرشاد العقل السليم ١٤٤/١ .

(2) سورة البقرة ، آية (١٣٣) .

(3) إرشاد العقل السليم ١٦٤/١ .

التعليق :

فسر الشيخ عليه الرحمة في هذه الآية استفهامين هما : " أم " ، " ما تعبدون " المترتب عليهما الإنكار والتوبيخ والتبكيت من خلال المعنى المذكور ، كما تعرض رحمه الله لأداة الاستفهام التي ترد مع الصيغة الواردة في الكلام ، وأن الشيء لطالما هو غير معلوم فإنه يستفهم عنه بما ، فإذا علم كان الاستفهام عنه بمن لا ريب .

المثال التاسع :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [1]

قال العلامة أبو السعود : عند قوله تعالى : " أم تقولون " إما معادلة للهمزة في قوله تعالى : " أتحاجوننا " داخلة في حيز الأمر على معنى أي الأمرين تأتون إقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما أنتم عليه والحال ما ذكر ، أم التشبث بذيل التقليد والافتراء على الأنبياء وتقولون : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾ فنحن بهم مقتدون والمراد إنكار كلا الأمرين والتوبيخ عليهما ، وإما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الإضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم السلام ، وقرئ (أم يقولون) [2] على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير ، غير داخلة تحت الأمر [3] واردة من جهته تعالى توبيخاً لهم وإنكاراً عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل .

وقوله : ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ ﴾ إعادة الأمر ليس لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الإنكار عليهم ، بل للإيذان بأن ما بعده ليس متصلاً بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما أنه الحق قد أضرب عنه الذكر صفحاً لظهوره وهو تصريحهم

([1]) سورة البقرة ، الآيتان (١٣٩، ١٤٠) .

([2]) وهي قراءة نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وشعبة وروح ، (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، تأليف : عبد الفتاح القاضي ، ط : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، الأولى ، صـ ٤٠ .

([3]) المراد بالأمر قول الله : " قل أتحاجوننا " .

بما وبخوا عليه من الافتراء على الأنبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال : ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [1] وقوله عز وجل قائلاً : ﴿ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾ [2] [3]

التعليق :

أرشدنا الشيخ عليه الرحمة فيما ذكره إلى مزايا عديدة مستوحاة من تفسيره لأسلوب الاستفهام الوارد في النصين الآنفين ، حيث بين أن كلا المعنيين على المعادلة يتوجه إليهما الإنكار ، بمعنى : أتفعلون هذا الأول هو المحاجة في الله وهو أمر منكر ، أم أتفعلون الافتراء والكذب على الأنبياء وتدعون أنهم كانوا هوداً أو نصارى ؟ وهم كانوا قبل هذا كله .

وأما إن جعلت الهمزة منقطعة فالإنكار متوجه إلى الأول ثم قال : بل أتقولون ... فكأنه استنكر الأول ثم أضرب عنه إلى ما هو بين الشناعة ، بمعنى : بل أتفترون على من كانوا قبل اليهودية والنصرانية .

ثم إن قراءة الغيبة تكون فيها (أم منقطعة) لا محالة ، حيث إن الكلام على هذه القراءة من الله لا من الرسول .

وقوله : " قل أأنتم " تفيد أن المخاطبين قد ذكروا كلاماً أعرض عن ذكره وهو بين ، كما نظر بذلك الشيخ بالآيات المذكورة .

المثال العاشر :

قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4]

قال العلامة أبو السعود : " أيود أحدكم " الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لإنكار الوقوع كما في قوله : أأضرب أبي ؟ لا لإنكار الواقع كما

---

(1) سورة الحجر ، الآيتان (٥٦-٥٧) .

(2) سورة الإسراء ، الآيتان (٦١-٦٢) .

(3) إرشاد العقل السليم ١٦٨/١ – ١٦٩ .

(4) سورة البقرة ، آية (٢٦٦) .

في قولك : أتضرب أباك ؟ على أن مناط الإنكار ليس جميع ما تعلق به الود ، بل إنما هو إصابة الإعصار وما يتبعها من الاحتراق " [1]

التعليق :

أفدنا من تفسير الشيخ عليه الرحمة للاستفهام الوارد في النص السابق أنه ليس من المعقول أن ينكر على ودادة الإنسان أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار ، بل مناط الإنكار يتماشى مع قوله : ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ ، بمعنى : هل يود الإنسان أن تحترق جنته أو يحترق ماله ؟ إذ لا يعقل ذلك ، بل هو مما لا يوده المرء بحال ، فيكون من باب إنكار الوقوع دون الواقع .

(1) إرشاد العقل السليم ٢٦٠/١ .

الخاتمة والتوصيات

بعد هذه الرحلة العلمية الماتعة التي قضيتها مع الإمام أبي السعود في رحاب تفسيره العظيم لسورة البقرة في إرشاد العقل السليم أثبت فيما يلي أبرز ما توصلت إليه من نتائج ممزوجة ببعض التوصيات : –

١- إن تفسير الإمام أبي السعود تفسير عظيم مشحون بألوان النكات والتطبيقات البلاغية على آي التنزيل مما يجعل هذا الحشد الضخم منها يطبع التفسير بلون مميز يعرف به أكثر مما يعرف بغيره .

٢- إن الإمام أبا السعود رحمه الله تعالى كان مولعاً بالجانب البلاغي للقرآن الكريم ، متفرداً في فهمه له ، حظاه الله بعمق في النظرة البيانية البلاغية في القرآن مما يجعله مقدماً على غيره ، ومن المبرزين في هذا الجانب .

٣- اهتمام الإمام أبي السعود بأنواع الاستفهام بحيث لا يكاد يمر على موضع فيه الاستفهام إلا بين سر لطيفة الاستفهام مما تهتز لها النفوس طرباً .

٤- إن ما أولاه الإمام أبو السعود في تفسيره من عناية بالاستفهام تدل على مقدار عمق فهمه وغزارة فكره وعلمه .

٥- مع أن تفسير الإمام أبي السعود مليء بالكنوز الثمينة والجواهر النفيسة إلا أنها بعيدة الغور ، محجوبة بأستار من الفزلكات اللغوية جعلت منه تفسيراً مقصوراً على الخاصة ، لذا أوصي إخواني الباحثين بالعكوف على هذا التفسير شرحاً وتحليلاً وتحقيقاً حتى يتسنى لكل طالب علم الاستفادة منه .

وفي ختام هذا البحث المتواضع أقول : هذا ما أمكنني الله من كتابته وتسطيره فما وجد فيه من نقص وتقصير فمن نفسي ومن الشيطان ، وما كان فيه من خير وإحسان فمن منة الله المنان ، فله الحمد أولاً وآخراً ، وهو الرحيم الودود .

وصلى الله على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه والصالحين ،،

المراجع

١- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر " المسمى " منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات – تحقيق : د. شعبان محمد إسماعيل – عالم الكتب – بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – ط١ – ١٩٨٧م .

٢- الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي – تحقيق : فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي – بيروت – ٢٠٠٧م .

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي ، ت: ٩٥١هـ ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٤- أساس البلاغة للزمخشري – تحقيق : محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٩٨م .

٥- أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث – أحمد تيمور – لجنة نشر المؤلفات التيمورية – ط١ – ١٩٦٧م.

٦- الأعلام لخير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – ط١٠ – ١٩٩٢م .

٧- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، تأليف : عبد الفتاح القاضي ، ط : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، الأولى .

٨- البغداديون أخبارهم ومجالسهم – إبراهيم الدروبي – مطبعة الرابطة – بغداد – ١٩٥٨م .

٩- تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الزبيدي – تحقيق : مجموعة من المحققين – دار الهداية .

١٠- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول – محمد صديق حسن خان بهادر – المطبع الصديق في بهوبال – الهند – ١٣٩٨هـ .

١١- تاريخ الأسر العلمية في بغداد – محمد سعيد الراوي البغدادي – تحقيق : د. عماد عبد السلام رؤوف – دار الشئون الثقافية العامة – بغداد – ط١ – ١٩٩٧م .

١٢- تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري – يونس الشيخ إبراهيم السامرائي – مطبعة وزارة الأوقاف والشئون الدينية .

١٣- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر – جرجي زيدان – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان .

١٤- التفسير والمفسرون للذهبي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٢-١٩٧٦م .

١٥- حاشية السقا على تفسير أبي السعود ، للشيخ إبراهيم السقا ، مخطوط بمكتبة الأزهر " تفسير " خصوصية ١٣٢٢ ، عمومية ٢٨٤٦٩ .

١٦- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر – عبد الرزاق البيطار– تحقيق : محمد بهجت البيطار – دار صادر – بيروت – ط٢– ١٩٩٣م .

١٧- الخصائص لابن جني – تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١– ٢٠٠١م.

١٨- الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر – الحاج علي علاء الدين الآلوسي – تحقيق : جمال الدين الآلوسي – عبد الله الجبوري – الدار العمرية – ٢٠٠٥م .

١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي – تحقيق : علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ .

٢٠- شرح الهداية للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي – تحقيق ودراسة : حازم سعيد حيدر – مكتبة الرشد – الرياض – ١٤١٥هـ .

٢١- الصاحبي في فقه اللغة ، لأحمد بن فارس ، (ت : ٣٩٥هـ) ، تحقيق : السيد / احمد صقر ، ط : عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧٧م ، ط : المكتبة السلفية ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ .

٢٢- علم المعاني تأليف الدكتور / عبد العزيز عتيق ، ط: دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٢٣- علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، تأليف : أحمد مصطفى المراغي ، مراجعة محمود أمين ، ط: دار الفكر العربي ، ١٩٧٢م .

٢٤- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري – دار الكتب المصرية – دار الكتاب العربي – بيروت .

٢٥- فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات – عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني – تحقيق : إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط٢– ١٩٨٢م .

٢٦- لب الألباب – محمد صالح الهروردي – ط١– مطبعة المعارف – بغداد – ١٩٣٣م .

٢٧- لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت – ط١ .

٢٨- المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني – تحقيق : سبيع حمزة حاكمي – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

٢٩- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني،(ت:٧٩٢هـ)، تحقيق الدكتور/عبد الحميد هنداوي، ط:دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٢هـ /٢٠٠١م ، الأولى.

٣٠- المسك الأذفر – محمود شكري الآلوسي – مطبعة بغداد – ١٩٣٠م .

٣١- معجم البلدان لياقوت الحموي – دار الفكر – بيروت .

٣٢- معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٣- من إعجاز البيان في القرآن الاستفهام ، تأليف : محمد شكري أحمد الفيومي ، ط : دار القلم ، دبي ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م ، الأولى .